الباب الرابع

تراث محمد "صلى الله عليه وسلم"

* تعظيم النبى وتبجيله
* الجهـاد
* معالم الدعوة

obeikandl.com

obeikandl.com

وقد تناول فى هذا الباب النقاط التالية :

١ ــ تعظيم النبى وتبجيله :

لم يكن الموت عند العرب ظاهرة مفجعة ؛ فنسبة الوفيات كانت عالية ؛ فمن كان بدنه قادرا على قسوة الطبيعة ، هو الذى امتدت حياته ، أما ضعفاء البنية فسقطوا صرعى المرض • كذلك شاعت ظاهرة وأد البنات بعد ميلادهن ، ولم يكن عدد ضحايا الحروب ضئيلا •• وهكذا كان الموت عملية غير مزعجة ؛ اللهم الا اذا كان الميت ابنا ذكرا لأب لا عقب له •

تبدلت طبيعة العربى ازاء هذه الظاهرة رأسا على عقب ، عندما أذيع خبر وفاة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اذ وقع الخبر على بعض المسلمين كالصاعقة فأصيبوا بالفزع والهلع ، لدرجة انكار الخبر • والتهديد بقتل من يقول : انه مات ، فقد روى أن عمر بن الخطاب ــ وهو من أكبر عباقرة المسلمين ــ قال حين سمع الخبر : « ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب الى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع اليهم بعد أن قيل : انه مات • ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات »(١) •

فاضطرب القوم بين مصدق ومكذب ، حتى جاء أبو بكر فقال قولته المشهورة :

« أيها الناس •• من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، ثم تلا هذه الآية : **« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين »**(٢) •

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٥

(٢) آل عمران : ١٤٤

فقال عمر : « والله ما هو الا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت(١) حتى وقعت الى الأرض ما تحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات »(٢) .

تأكد المسلمون من موته ، فهدأ اضطرابهم ، ولكن الشعور بالضياع سيطر على نفوسهم ، اذ كان جل اعتمادهم عليه فى شئون دينهم ودنياهم ، وفجأة شعروا بأنهم أصبحوا فى مهب الريح العاتية ، بلا قائد أو هكذا تخيلت أذهانهم ، فهو لم يعين خليفة له ، فكيف تستمر الأمور فى سيرها نحو المستقبل ؟ .

اختلط الحزن بالارتباك والحيرة ، لدرجة أنهم انصرفوا عن دفنه الى محاولة الخروج من هذا المأزق الذى وجدوا أنفسهم فيه ، وتركوا على بن أبى طالب مع بعض الصحابة يعدون العدة لغسله وتجهيزه للدفن ، ثم اختلفوا على المكان الذى يدفن فيه ، الى أن حسم أبو بكر الخلاف حين روى عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ما قبض نبى الا دفن حيث يقبض(٣) .

جالت خواطر المسلمين هنا وهناك وكان من أهم ما أزعجهم أن وحى السماء قد انقطع عنهم ، فلن يسمعوا كلمة منه بعد اليوم ، ودارت بخلدهم هذه الأسئلة : « هل انقطع وحى السماء حقيقة ، فلم يعد ينزل بعد اليوم ؟ هل من الممكن أن يموت نبى الله كما يموت بقية البشر ؟ أليس من المحتم أن تقوم الساعة الآن ؟ .. أيقظ الخوف فى نفوس من تركهم محمد — صلى الله عليه وسلم — الأمل فى حدوث معجزة ، فالله قادر على كل شىء ، وهنا ينفصل طريق التعاليم الدينية عن اعتقادات العامة ، فالقرآن والأحاديث النبوية الصحيحة تؤكد أن محمدا بشر ، يموت كما يموت غيره من الناس ، بينما يميل عامة الشعب الى رفع محمد عن درجة الانسان العادى وانزاله مكانا خاصا قريبا من الله . صال الخيال وجال فى هذا المجال ، فنسبوا اليه أشياء نسبتها الأساطير الى الأنبياء السابقين ، ففى حياته لم يترك العنان لخيال المؤمنين ولكن بعد موته بدأت الأخبار تترى عن نواح ، لم يتحدث عنها القرآن الكريم ولم تنقلها الأحاديث الصحيحة ، ألم يسطع نور النبى من بدء الخلق حتى الآن ؟

---

(١) عقرت : دهشت . يقال : عقر الرجل اذا تحير ودهش .

(٢) ابن هشام جـ ٢ ص ٦٥٦

(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٦٣

لقد ظل النور ينتقل من جيل الى جيل — هكذا اعتقد العامة — حتى استقر فى قبيلة محمد ، ثم ظهر فيه ، فأنار جميع العالم ، لقد طهره هذا النور من كل الذنوب ، وجعله معصوما حتى فى فترة ما قبل البعثة ... و ... و .. الخ ، وهكذا لم تتوقف القصص الشعبية فى هذا المجال ، وظلت تنسب الى النبى كل ما من شأنه أن يرفعه عن عالم البشر ، ونسبت اليه كثيرا من المعجزات الحسية ، فقد شفى المرضى وكلمته الحيوانات ، وتحركت لنظراته الأحجار ، وبكى الجماد لفراقه .. الخ . ثم سرد المؤلف حديث الاسراء والمعراج ، وبين أن ما علق بها من المعجزات ، لم يرد له ذكر فى القرآن الكريم .

ذكر المؤلف أن الذين عاصروا النبى — صلى الله عليه وسلم — كانوا يعرفون كل كبيرة وصغيرة فى حياته ، لكن أحداث الوحى وانشغالهم بتزقب ما ينزل من السماء لم يترك لهم مجالا للحديث عن حياة محمد أثناء وجوده بينهم . فقد انصب اهتمامهم على معرفة التعاليم الدينية ، التى تنظم حياتهم ، وتضمن لهم الجنة .. لأنها الهدف الذى تكرس كل الجهود للوصول اليه وان كان المسلم يعتقد أنه لن يصله الا برحمة من الله ورضوان ، فاذا قورن هذا الشعور بالمغفرة المسيحية ، لرجح — كما يعتقد المسلمون — اطمئنان المسلم فى هذا المجال ، الا أنهم يؤمنون بأن القلم قد حدد فى اللوح المحفوظ ، من سيدخل الجنة .. ومن سيحرم من دخولها .. ولكن من يعلم هذا ؟ لا أحد .. دام النقاش بين العلماء حول هذا الموضوع مئات السنين ، فصنفوا الناس حسب أعمالهم وايمانهم ولم يقتصر هذا التصنيف على المسلمين فقط ، بل تعداه الى وضع غير المسلمين بالنسبة للمسلمين فى الحياة الآخرة .

هذه هى بعض ملامح التيارات الفكرية ، التى شاعت فى المجتمع الاسلامى بعد موت محمد — صلى الله عليه وسلم — والتى أدت الى اختلاف الآراء داخل الأسر التى شهدت عصر الخليفة الأول .

٢ — الجهاد :

ينبغى التأكيد مرارا وتكرارا على أن ظهور محمد بدعوته فى أوائل القرن السابع الميلادى كان خيرا وبركة للشعب العربى ، فقد منح الاسلام العرب شيئا لم يملكوه حتى ذلك التاريخ : منحهم دستورا ربطهم جميعا برباط واحد ، لأن تأثيره عليهم تغلب على جميع النزاعات السياسية والقبلية ، فأنهى عهدا لم يعرف له دستور ، وقضى على

غريزة الثأر ، التى كانت تجرى فى دماء العرب • لكن هذا التماسك لم يلبث أن تفكك بعد موت محمد — صلى الله عليه وسلم — فهبطت هذه المثالية — التى دعا محمد قومه الى التحلى بهـا — من عليائها الى حضيض العالم الدنيوى حين تنازعوا على السلطة ، فشنوا الحروب للوصول اليها ، تلك الحروب التى مزقت الوحدة الدينية فانشغل الكبار بالسلطة والصغار بالمسائل الدينية ، ان فريق الكبار حصر جهده فى السياسة ، وانصرف اهتمام الصغار الى المسائل الدينية ، ومن الطبيعى أن هذا التقسـيم لم يكن عاما ، فقد كان هناك خلفاء لم تشغلهم المسائل السياسية عن الاهتمام بالأحكام الفقهية ، فضلا عن أنهم كانوا على درجة كبيرة من الورع والتقوى •

ارتبطت السلطة بالعقيدة فى بداية الدولة الاسلامية فى المدينة ، وتدل هذه الظاهرة على أن الاسلام يرى أنه : دين السياسة ، أو بتعبير آخر : عقيدة السياسة الدينية ، اذ أخذت المسائل الدينية طابعا سياسيا ، فقد كان محمد — صلى الله عليه وسلم — نبيا ورسولا ، وفى الوقت نفسه كان سياسيا ، فلم تعرف الدولة فصلا بين الدين والسياسة •

شرح المؤلف علاقة الدين بالسياسة فى جميع المجالات ، وجهود الفقهـاء فى استنباط القواعد الفقهية ، وارتباط النشاط السياسى بقواعد الدين ، متخذين السنة النبوية وما كان عليه الخلفاء الراشدون مثالا لهم • ثم بين أن نظرية المسلمين فى دعوتهم الشعوب الأخرى الى الدخول فى الاسلام تتلخص فى أن الانسان مفطور على العقيدة التى ربطت بينه وبين أخيه الانسان ، ولكن بارتكابه المعصية تقطعت وشائج الاتصال بين البشر فانقسم الناس الى فريقين : فريق تمسك بالتعاليم الدينية التى نزلت على رسلهم ، وآخر تنكر لهـا ، غير أن الفريق الأول عجز — بمرور السنين — عن فهم الوحى لبعده عن زمن الرسـل الذين بلغوا هذا الوحى ، فحرف فيه بالتغيير والتبديل والمحو والزيادة •• الخ • ثم جاء محمد — صلى الله عليه وسلم — ليدعو الفريقين الى الاعتراف بوحدانية الله ، لتكوين الجماعة المؤمنة ، التى تؤسس الدولة ذات الطابع السياسى والدينى • ولهذا فرض على أتباعهم الجهاد لتحقيق هذه الغاية ، ومن هنا انقسم العالم فى نظر المسلمين الى قسمين :

الأول : المسلمون حيث تقوم الدولة الاسـلامية وعلى رأسهـا الخليفة •

الثانى : الكفار الذين يجب عليهم الدخول فى الاسلام •

وهؤلاء ينقسمون بدورهم الى قسمين :

الأول : المشركون ويجب على المسلمين قتالهم حتى يسلموا •

الثانى : أهل الكتاب ، وهؤلاء ينبغى قتالهم حتى يسلموا ، أو يخضعوا للدولة الاسلامية فيعطوا الجزية • وفى مقابل هذا تحميهم الدولة ، ويندرج تحت هذه الحماية : المحافظة على أملاكهم وضمان حرية اقامة شعائرهم الدينية ولكن لا تدق أجراس كنائسهم ، ولا يشيدون كنائس جديدة •

يشترط فى الخليفة أن يكون قادرا على قيادة الدولة سياسيا وعسكريا ، وأن يكون تقيا ورعا ، اذ من واجبه حفظ الدين ، والجهاد ضد أعداء الله وأن يسود الدولة طبقا للكتاب والسنة ، فان وقع خلاف فى التفسير فان الكلمة الأخيرة له ، لأنه المسئول وحده عن رعاية الدولة ، وبيده مقاليد الأمور فى جميع نواحيها • غير أن سلطانه ليس مطلقا — كما هو الحال فى بعض النظم الحديثة — فوضعه لا يختلف عن وضع أى مسلم عادى فى الدولة ، بالنسبة للالتزام بما هو مقرر فى القرآن الكريم ، ويزيد عليه من ناحية الواجبات الملقاة على عاتقه كخليفة للمسلمين ، ومن أول واجباته — كخليفة — دعوة الناس الى الدخول فى الاسلام ، فان أبوا ، فشن حرب مقدسة ضدهم يديرها بنفسه • تجاوز النبى — صلى الله عليه وسلم — مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم ، لأن الدعوة بالكلمة لم يعد لها تأثير فى اقناع الناس ، وعلى خلفائه أن يتخذوه أسوة فيستعملوا القوة لحمل الناس على الدخول فى الاسلام ، وسوف يظل الجهاد طابع الدولة الاسلامية ، ما دام هناك مجتمعات لا تدين بالاسلام •

فصل المؤلف القول فى توزيع الفىء والغنائم ، وأكد على أن ظاهرة الرق فى الاسلام لم تكن من الظواهر الدائمة ، فهى مترتبة على نتائج الحروب ، فاذا ما دخلت المجتمعات يوما ما فى الاسلام ، فسوف تختفى هذه الظاهرة من تلقاء نفسها ، ثم عاد الى الحديث عن علاقة الأمور الدنيوية بالتعاليم الدينية ، وختمها بقوله :

« فلم يفرق محمد — صلى الله عليه وسلم — بين قانون مدنى وآخر دينى ، فبلغ كل ما أوحى اليه على أنه وحى الله دون تمييز بين دينى ودنيوى ، وبهذا يختلف القانون الاسلامى — حتى اليوم — فى جملته

وتفصيله عما عندنا نحن المسيحيين من متراكمات تركزت في جانب واحد » .

أخذت فريضة الجهاد في الاسلام حيزا كبيرا في مؤلفات المغربيين التي كتبوها عن الاسلام ، والم يكونوا موضوعيين في كتابتهم عن هذه الفريضة ، اذ أجمعوا — كلهم تقريبا — على أن الاسلام انتشر بالسيف بينما دعت المسيحية الى المحبة ، ونبذ البغضاء والقتال وقد رد عليهم المسلمون مبينين أن الغزوات الاسلامية لم تكن هجوما بل ردا لاعتداء وقع على المسلمين ، أى أنهم كانوا في موقف دفاع ، وأود أن أنقل هنا كلمة كتبتها في تحقيقي لكتاب « بين الاسلام والمسيحية »(١) حول المقارنة بين الدينين في مسألة قتال المعارضين :

يردد اعداء الاسلام منذ بدء فترة الدفاع المسلح عن العقيدة الى اليوم ، أن الاسلام انتشر بالسيف ، اذ ما زلنا نسمع من المستشرقين ومن يدور في فلكهم من ضعاف النفوس ، أن المسيحية تنكر القتال ، بينما دعا الاسلام الى الحرب ، والى الجهاد في سبيل الله ، أى الى اكراه الناس بالسيف على الدخول في الاسلام ... وهذا هو التعصب بعينه ، وغاب عن هؤلاء الحقائق التالية :

أولا : نص القرآن الكريم في مواضع عدة على أنه لا اكراه في الدين ..

يقول تعالى : « لا اكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغى »(٢) .

ويقول : « ولوشاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »(٣) .

ويقول : « فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر »(٤) .

ويقول : « فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر »(٥) ..

فالاسلام لا يجيز لأحد — ولو كان النبى نفسه — أن يجبر انسانا على الدخول في الاسلام .

---

(١) ص : ١٤١ — ١٤٣

(٢) البقرة : ٢٥٦

(٣) يونس : ٩٩

(٤) الكهف : ٢٩

(٥) الغاشية : ٢١ ، ٢٢

ثانيا : يمتـــاز الانسان عن الحيوان بالقـــدرة على التفكير ومن خصائص هذا التفكير ميل الانســـان الى الحرية فى التعبير عن آرائه وفى اعتناق ما يراه موافقا لطبيعته فاذا ما منع من هذا بقوة السلاح ، فان من الطبيعى أن يدافع عن رأيه بالوسائل التى يقاتله بها من يريدون كبت حريته ، فان أراد أحد أن يفتن آخر عن عقيدته مستعملا الدعاية والمنطق ، دون اللجوء الى حمله على ترك عقيدته بالقوة ، لم يكن للمؤمن أن يدافع عن عقيدته الا بالحق والمنطق ، أما اذا أجبر بقوة السلاح ، لم يكن من سبيل الا حمل السلاح أيضا ، للدفاع عن عقيدته ، لأنها أثمن شىء عند من يفهمون معنى الانسانية ، فهى أثمن من المـــال والجاه ، بل أغلى من الحياة نفسها وقد أدرك هذا المسلمون الأولون ، فدفعوا حياتهم ثمنا للدفاع عن عقيدتهم ، وتلك سنة الله فى خلقه .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض »(١) .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز »(٢) .

ولو لم يقاتل المسلمون لحكم عليهم التاريخ بأنهم : أذلوا ، وأهينوا فرضوا بالذل ، والهوان ، وتلك سبة تأباها الطبيعة الانسانية ، ولمـــا كان الاسلام موافقا — فى تعاليمه وشرائعه — لهذه الطبيعة ، لم يرض لأتباعه أن يتصفوا بهذه النقيصة .. وعليه ، فلم يحمل المسلمون السلاح لاجبار أحد على الدخول فى دينهم بل كان للدفاع عن أثمن شىء لديهم ، ألا وهى ممارسة ما تمليه عليهم عقيدتهم .

ثالثا : يعقد أعداء الاسلام مقارنة بين محمد وعيسى عليهما السلام ، مدعين أن عيسى لم يقاتل أحدا ، بينما قاد محمد معارك كثيرة ، ضد من وقفوا فى سبيل دعوته ، وينسى هؤلاء ان عيسى استمر ثلاث سنوات فقط ، يدعو الى دينه بدون قتال ومكث محمد ثلاث عشرة سنة يتلقى أذى قريش ، دون أن يحمل السلاح ، فأى المدتين أطول ؟ .

أضف الى ذلك أن عيسى قال أثناء هذه المدة القصيرة :

---

(١) البقرة : ٢٥١

(٢) الحج : ٤٠

« ما جئت لألقى سلاما بل سيفا »(١) ·

بينما لم يذكر محمد فى العهد المكى ـــ وهو ثلاث عشرة سنة ـــ شيئا عن القتال · فأيهما كان ـــ بصرف النظر عن كون ما يتلقيانه وحيا ـــ أشد ميلا الى السلم ·

كان يمكن أن تكون المقارنة صحيحة ، لو أن عيسى استمر فى دعوته مدة أطول من المدة التى مكثها محمد فى مكة داعيا الى الله ، ولم يقاتل ، بينما قاتل محمد ··

فاذا تركنا العهد النبوى لكل منهما ، وتصفحنا تاريخ كلتا الديانتين لرأينا أن المسيحية لم تعرف سلاما قط ، فقد حمل المسيحيون الناس حملا على اعتناقها وأجروا الدماء أنهارا فى سبيل اكراه الناس على الدخول فيهـا ، ومن يقرأ التاريخ يجد أن المسيحين لم يعتنقوا مبدأ السلام فى واقعهم العملى حتى اليـوم ، الا خوفا من الدمار الشـامل ، الذى يتوقع أن يحل بهم ان هم استمروا فى هذا الطريق الوعر ·

٣ ـــ معالم الدعوة :

اعتبر اختيار محمد للرسالة ، ليبلغ ما لم يبعث فيهم رسول من قبل فضلا من الله ورضوانا على العرب ، وفهمت دعوته فى أول الأمر على أنها دعوة خاصة لقومه قياسـا على الأنبياء السابقين ، فقد بعث كل نبى الى قومه خاصة ، غير أن جوهر الاسلام يتضمن طابعا عالميا ، ويكمن ذلك فى الاعتقاد بأن محمدا هو آخر الأنبياء ، والقرآن هو آخر وحى ينزل من السماء لاصلاح ما فى البشرية من فساد ، فلن يأت كتاب بعده أبدا ، ولن يرسـل رسول بعد محمد على الاطلاق ، وبنـاء عليه يكون الاسلام دينا عالميا لجميع البشر ·

يتفق الاسلام مع الأديان الأخرى ذات الطابع العالمى فى نقطة الانطلاق فقد سـاد فى زمن ظهوره حالة من اليأس والفراغ الروحى ، من جراء الفسـاد ، الذى ساد فى المجتمع وحاول كثير من الراغبين فى الاصلاح محاربته ، ولكنهم لم يتمكنوا من عمل شىء ، اذ عجزوا عن اصلاح ما بين القبائل من نزاعات ومشاجرات سالت فيها الدماء أنهارا ، ولم يقدروا على تنقية الحياة مما أصابها من الانهيار الأخلاقى ، فسيطرت

---

(١) متى : ١٠ : ٣٤

غريزة اللامبالاة على النفوس ، وتمكنت الرذيلة • فى هذا الوقت دعا محمد قومه الى الخروج من هذا الوضع المؤلم ، وبين لهم طريق الخلاص مما هم فيه فكان أول شىء دعاهم اليه هو الاعتراف بوحدانية الله ، ونبذ ما هم عليه من عبادة الأوثان والأصنام فلا يجوز أن يتخذ معه اله غيره ، والا فالعقاب الصارم يوم القيامة •

تحدث المؤلف عما يثاب عليه المرء أو يعاقب يوم القيامة ، وعلاقة ذلك بما يصيب الانسان فى الدنيا من كوارث وبما يناله من خيرات ، فى ضوء العدالة الالهية فقاده هذا الى تناول مسألة الجبر والاختيار وآراء المدارس الكلامية فيها • ثم تناول الأخلاق فى الاسلام ، فذكر الاحسان الى الوالدين ، والوصية بذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ولكن بدون اسراف •• ففى القرآن : « **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا** »(١) • كما حرم وأد البنات وارتكاب الفواحش من زنا وغيره ، وحرم قتل الأنفس الا فى حالتين : فى حالة الدفاع عن النفس ، وفى الحرب ضد أعداء الله ، كما حرم أيضا أكل أموال اليتامى والضعفاء وفى مجال الأسرة أباح الزواج بأربعة الا ان عجز الرجل عن الوفاء بحقوقهن فيجب الاقتصار على واحدة •• ثم ذكر المؤلف حقوق الأيامى ووضعهن عندما يصبحن « أم ولد » ووضع أبنائهن فى الحرية وعدمها ، وأكد أن محمدا حث المسلمين فى أكثر من مناسبة على تحرير العبيد ومكاتبتهم ، غير أن هذه الظاهرة لم تختف لأن كثيرا من المسلمين لم ينفذوا وصية نبيهم نصا وروحا ، فبقيت تردد فى المجالس العلمية دون أن تحقق الغرض الذى أراده محمد — صلى الله عليه سلم — فى الواقع الاجتماعى •

بين فى مجال العبادة كيفية فرض الصلاة وشروطها ، وأركانها وعدد ركعاتها وتحويل القبلة ، ثم عقب على ذلك بقوله : « ان المسلمين أكثر حرصا على تأدية الصلاة من التزامهم بالمبادىء الأخلاقية ، التى دعا اليها الاسلام » •

ومما قاله المؤلف فى ختام هذا الباب قوله :

« ان الناقد الأجنبى (عن الاسلام) لا يملك الا أن يصف محمدا — صلى الله عليه وسلم — عندما يتطرق الحديث الى تقييم ما دعا اليه ؛

---

(١) الاسراء : ٢٧

وما أنجزه — بأنه كان طاقة هائلة دفعت عجلة التاريخ الى الأمام ؛ فقد تطور التمرد ضد البربرية التى كانت فى عصره الى نصر للأفكار الدينية والروحية والى قوة أخلاقية بناءة ، ومن الافتراء على الله الادعاء بأن الدين كان بالنسبة لمحمد وسيلة لغاية ، فعلى الرغم من هذا ومن ادعاءات أخرى فقد كان محمد مفطورا على الدين ، ووحد شعبا كانت أوصاله متقطعة فى صحراء جرداء قاحلة ...

فاذا ما انتقص أعداؤه من قيمة عمله فى جانب من الجوانب ، ارتفعت قيمته عالية فى دعوته — الصارمة والمستمرة — الى وحدانية خالصة ، وفى عمله الدءوب فى خدمة دعوته ، فهو لم يخلص شعبه فقط من الظلمات الحالكة التى كان فيها ، بل حدد فى موكب التاريخ مسير الانسانية جمعاء تحديدا فاصلا ..

وأخيرا انتشر نور عقيدته .. فغطى جوانب الطبيعة الانسانية » .

* * *